

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة
شريف سمير
عجلة
قصص
وزارة الثقافة
كتابة
الهيئة العامة لقصور الثقافة

علـــى دراجـــة

قصص

شريف سمير

وزارة الثقافة



سلسلة
كتابة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
سعد عبد الرحمن
أمين عام النشر
محمد أبو المجد
مدير عام النشر
ابتهال العسلى
الإشراف الفنى
د. خالد سرور

• على دراجة
• شريف سمير
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2014م
• تصميم الغلاف: أحمد الجنايني
• تدقيق لغوى: ياسر المحمدى
• رقم الإيداع: ٥٥٩٨/ ٢٠١٤
• الترقيم الدولى: 978-977-718-675-9
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096



24

سلسلة شهرية تعنى بنشر إبداعات الشباب

• هيئة التحرير •
رئيس التحرير
د. هيثم الحاج على
مدير التحرير
السعيد المصرى
سكرتير التحرير
يونس شعبان

علــى دراجــة

الإهــداء

لهــن

(شريف)

لماذا لم يكن هناك دائما بحر؟

قبل أن يظهر البحر بعيدا عند الأفق، حين كان لون الزرع الأخضر سائدا فى كل الاتجاهات، مع قليل من الرمال الصفراء والبيوت بلون الطين أو الطوب الأحمر. فى فصل الشتاء، من الطابق الرابع بمبنى المدرسة الابتدائية، كنتَ تستطيع أن ترى الهواء يصنع موجات في فدادين البرسيم أو القمح الأخضر أو الذرة النيلية، كنت سترى كل الدهشة والقلق والتطلع من الطابق الرابع بالمدرسة تجاه الشمال، كنت سترى ذلك الخط الأزرق الملتحم برمادية السماء فى البعد يأخذ فى الاتساع والتّحدب، ويختلف شكله من بداية اليوم الدراسى عن نهايته ظهرا عن صباح اليوم التالي، حتى جاء ذلك الصباح الذى اجتمعنا فيه بمكتب الناظر، وبعد اتصالات بالإدارة التعليمية، أرسلنا الأطفال إلى بيوتهم وأمرناهم ألا يعودوا

غدا ولا بعد غد ولا بعده ولا بعده، حتى نرى ما سيفعل البحر بالمدرسة، وأخذنا نطارد الأطفال الذين خلعوا ملابسهم يستحمون ويغطسون ليكبشوا قرون الفول السودانى من الطين.

بالفعل جاء البحر وغمر كل الأراضي المنخفضة فى طريقه حتى أخفى الأشجار وحمل حطب الذرة والسمسم من فوق أسطح البيوت القليلة، لكنه توقف قبل المدرسة، أخذ يرق ويضحل حتى لم يعد قادرا على صعود الشارع المسفلت أمام البوابة الكبيرة وظل غير قادر أياما وأسابيع.

جمعنا الأطفال من الماء وأدخلناهم إلى المدرسة بالقوة، كانوا حفاة وبعضهم بالشورت فقط، والدراسة لم تنتظم حقا حتى بعد غلق البوابة الكبيرة بالقفل. صعد الجميع إلى الطابق الرابع لمتابعة قوارب انتشال الممتلكات وقوارب الصيد التى انتشرت بسرعة مدهشة. صرتُ لا أقضى داخل الفصل إلا أقل وقت ممكن، أخرج إلى الشرفة وأراقب البحر يحمل أشياء غريبة، يبتلعها ويصفو، يزرقّ بعد رمادية، حتى كنت أنا أول من لمح سفينة، من مكانى فى الطابق الرابع، بالرغم من البعد ظهرت لى ضخامتها. رأيت ناس قريتنا الفلاحين يتعاملون مع البحر، يجلسون أمامه في ظل شجرة، يتذوقون ملوحته، يتعلمون السباحة، حتى أن بعضهم جلب امرأته وشمرا وسارا فيه متشابكي الأيدي، لم أر أحدا يسب البحر أو يركله أو يقذفه بحجر، صار عاديا أن ترى المدرسات عند المرواح يسرن كالإوزات فى الماء الضحل، صرن يكشفن حتى ركبهن

ويضحكن، ويقلن أنهن سيأتين بالمايوهات غدا. خلعت جزمتي وشمرت ساقي بنطلوني وسرت خلفهن بجوار نُهى، ولأول مرة كلمتني براحةٍ ونظرت في عيني مباشرة بل وتركتني أُمسك يدها طول الوقت. والغريب أننا لم نستشعر خجلا أو ذنبا، ولم ينظر إلينا أحد بغضب أو اتهام، فقد كنا على البحر.

وقارى فى مطلع

عندما أصل إلى المطلع وتتثاقل الدراجة فأضطر إلى الوقوف على البدال فأتذكر روبى واقفة على بدَال دراجة التمرينات وهى تغنى «طب ليه بيدارى كده»، أحس بالخجل، على أساس أن هذا تصرف لا يليق بمدرس أمام تلاميذه، فأجلس وأستمر صاعدا فى معاناة. تصعب على روبى كثيرا، أشعر أنها لو رأتنى لارتمت على صدرى باكية فأفسر لها حياتها وأفهم تصرفاتها وأرتب لها أفكارها وبقبلة على جبينها أسامحها، ولكن كيف أسامح روبى وأنا لا أقف على بدالي؟ بل أنزل فى منتصف المطلع وأدفع دراجتي؟ كيف سأفهمها وأنا لدى مفاهيم غريبة عن الوقار؟

بشكل ما أعتقد أنى روبى بطريقتي، وهذا يجعل فهمها ومسامحتها أسهل، لكنه بالتأكيد سيغير نوعية القبلة.

من كل نساء الدنيا

في القهوة تليفزيون ضخم يوجه مؤخرته الكبيرة إلى الباب ساداً نصفه، مرسلاً أضواءه الملونة إلى الداخل المظلم دوماً، يتصل بالتأكيد بطبقٍ فوق السطح لا يظهر من أى مكان فى الخارج. هو، لا يأخذ مجيؤه إلى القهوة شكلاً منتظماً، بل قد تجد زيارته لها أشبه بالكبسة، تكررت كثيراً حتى صارت شبه دائمة. فى الداخل خلال مشاهد السكس ينتبه تماماً للنسوة ولا يلاحظ أبداً الرجال على الشاشة أو حوله، يسعده كثيراً أن يتوصل فى أجسادهن إلى علامة مميزة ذلك لكى يكون دقيقاً فى عده. هو لا يعتمد أبداً على لون الشعر أو ملامح الوجه حتى لا يُخدع. على أية حال يتوقف العدّ غالباً عند الرقم سبعة. ربما إذا جادله أحدهم وجاء له بدليل مفحم وذكّره الجرسون بتلك البنت فى عزبة الصفيح وصل بهن إلى عشرة، لكنه يكون محتداً جداً سريعاً إلى الشتم، بعدها ربما أخذته سنةٌ من الاستمتاع بوجهٍ مطمئن، وقد يبتسم وهو يردد: عشرة فقط.

صورناه

أنظر لأبى من خلال عدسة الكاميرا، لا يحاول أن يبتسم وإن اختلجت اعوجاجة فمه، يتردد أصبعى على زر الكاميرا.. أتذكرأننا نحتاج صورة مقربة للوجه تصلح للبروزة، أقترب خطوة من أبي، أتخيل الصورة معلقة فى المندرة في برواز ضخم فوق الكنبة التى عاش عليها طويلا، بدا لى أن الشريط الأسود فى الركن الأيمن العلوى مبالغ فيه.

يتردد أصبعي على الزر.. أنا واقف وهو فى كرسيه، تظهره اللقطة مُستصغرا، أقعى ليوازى سطح الكاميرا أسفل ذقنه، منذ ثلاثين سنة كنا نأكل البطيخ ونضحك حين قال لأمي: "عارفة ابنك ده.. بيحلم إننا نموت فيبيع الأرض ويشترى قمصان وبناطيل". هل عرف أن شدة إنكارى دليل على صحة ادعائه؟كم كان ذلك عريا

مؤلما.. ذات الحلم يراودنى بين حين وآخر حتى الآن، هل يعرف؟ بعد ثلاثين سنة، هل يحدس؟

يتردد أصبعى على الزر، ليس من العدل تخليد جلطة المخ فى صورة تلخص حياة كاملة. أنتقل خطوتين يمينا ليبتعد الجانب الأيمن المرتخى من الوجه.

يتردد أصبعي، يد أمي تسوى الطاقية البيضاء على رأسه وياقة الجلابية.. هل أبروز الصورة أم أنتظر إلى ما بعد أن.. فلاش.

فى حقل عبادات شمس عملاقة

كان يحلم وكان حلما منعشا . . كان يحلم أن فتاة تقبله ، وجدته فاتنا لا يقاوم فقبلته فى فمه ،بعدها فتح عينيه وكانت البندقية أول ما رآه ، تتمدد إلى جواره على الفراش .

ماذا أقول لتدرك كم هو شخص عادي؟ تراه في الصباح ماشيا إلى عمله وبعد الظهر عائدا ، تراه فى المساء جالسا فى المقهى المقابل لشقته ـ ما لم تكن ليلة مباراة ما فيهرب ـ يقرأ ، وبين الحين والآخر يلتفت إلى بلكونته بالدور الثالث كالمتوجس أن يرى نفسه ينظر منها نحوه ـ لهذه الدرجة هو وحيد ـ تراه حليق الذقن صباح السبت نابتها مساء الخميس .

من الغريب أن تصحو فتجد بندقية قناصة سنايبرفيلد إلى جوارك على الفراش دون أن تدرى مصدرها أو حتى اسمها إلا بعد قراءته

محفورا عليها، والأغرب أنها بعد لمسها وحملها وتقليبها والتفكير فيها بطريقة ما بعد غسيل الوجه وفتح الشباك لنور ربنا تبقى حقيقية.

يستند على سور سطوح العمارة وخلفه تنبت الأطباق اللاقطة وتبدو فى ليل المدينة غير المظلم كعبادات شمس فى كوكب سحري، ينظر إلى المقهى بواسطة تليسكوب السنايبرفيلد يبحث عن المتسول فيراه يطوف بقعة ثقيلة ضخمة من تربيزة لأخرى بهالة الرائحة الكريهة حوله؛ يرتدى ترنج بنى غامقًا بنقط بنية فاتحة غير منتظمة الشكل على مؤخرته يعرف من قبل أنها خروم يظهر منها جلده. يسأل الجالسين دون كلل: معاك سيجارة ؟، معاك جنيه ؟

يلف عدسة التليسكوب فتقترب صورة المتسول حتى يكاد يرى عينيه، يفكر: " (تليسكوب رائع)، ضغطة واحدة ولن تزعجنى رؤيته بعد الآن (هو إنسان) حيوان (مشاعره وأحلامه وأفكاره) خرا (أكون قاتلا ؟) أكون. (مشاعرى وأحلامى وأفكاري؟) قد أجد فى القتل أفكارا عظيمة (ومدحت؟ وعبد الحميد؟) مسعد سيرى الخبرة بركان أفكار هائل (الطلقات يا فالح؟.. لا طلقات)".

كان يحلم.. رأى أباه طفلا، لم يكن اسمه (سمير) منذ مولده بل كان يسمى فرج وظل فرجا حتى سمع الاسم سمير، بعدها صار لا يستجيب للاسم فرج قط، قال أنا سمير وصمم على ذلك فصار سميرا. كان هذا القرار مذهلا لأمه وإخوانه وأخواته الأطفال فى ذلك الوقت وهم الذين تتراوح أسماؤهم بين غنيمة وعيد وعواد

ومصلح وسالم وسلامة وسالمة وفريجة وجميعة وقاسم ويعيشون في بيت من شعر الإبل. وأن يقدر سمير الطفل أن يمحو أي ظلال لفرج على حياته شيء مثير للإعجاب وقدرة توحي بمستقبل قيادي أو ثوري أو فني الأمر الذي لا يوجد أي دليل عليه. هو نادرا ما يحلم بأبيه وهي أحلام لا أستطيع وصفها بالمنعشة، كان أبوه في عينيه المغمضتين وحين فتحهما رأى علبة الطلقات على الوسادة.

البندقية قديمة جدا تعلوها بعض البقع البنية، كأنها صدأ أو دم قديم، وهناك حفر يدوي غير واضح على كعب البندقية الخشبي، كأنها الحروف الأولى من اسم و١٩٤٢، ثانية ينظر بواسطة التليسكوب، هذه المرة الطلقات معه، علبة الطلقات من الصفيح، تشبه علب البلوبيف احتوت عشرين رصاصة طويلة مكتنزة ذات شكل وصلابة وثقل توحي بالقوة وبالفتنة، صناعة أمريكية و١٩٤٢ كذلك، أخذ مخزن السنايبرفيلد خمس طلقات، مع وضعه للطلقة الخامسة شعر بتوتر شديد واضطراب في ضربات قلبه، دارت رأسه لثانية وسال نهر حمضي في معدته، بحث عن المتسول الذي طالما ابتز منه السجائر والجنيهات بقوة القرف فلم يجده، لأول مرة لا يوجد، سيطر عليه شعور ملح كالذي يسبق لحظة القذف، رأى شخصا يجلس إلى تربيزته المفضلة، شعر أنه الشخص المناسب للقتل، قرر أن يقتله، بالأحرى كان الشعور والقرار موجودين بالفعل من قبل، كذلك صارا قيد التنفيذ تلقائيا، فكر أثناء ذلك أنه مراقب، كأن أحدا يراه بواسطة تليسكوب

قناصة، توجس، وأصبعه فى الطريق لإتمام الضغط على الزناد رأى الشخص المناسب للقتل فى المقهى ينهض، كاد ذلك يشعره بالارتياح، أما الطلقة فكانت قد خرجت وأسقطت القتيل المناسب بين كراسى المقهى وسيقان الجالسين.

فى دهشة جلس مسندا ظهره إلى سور السطح، ألقى السنايبرفيلد ووضع يديه فوق تدفق الدماء الغزير من ثقب هائل بأعلى معدته، ظل عقله يبحث عن أية أفكار عظيمة، وظلت عيناه مفتوحتين على حقل الأطباق اللاقطة العملاقة.

لحكمة

عندما ظهرت اليد العملاقة التى ظنناها يد الله لأول مرة جمدتنا الدهشة فأمسكت بنا بسهولة ، وكان صراعنا للإفلات دون جدوى ،شعرت بلسعة حقنة فى مؤخرتى ، وكذلك شعر سامح ،أفلتتنا اليد فركضنا وكل منا يدعك مؤخرته بيده .

حتى بعد أن ظهرت علينا أولى أعراض المرض ظل سامح أقل مبالاة منى بما جرى ،فهو يفترض أن كل ما تأتى به اليد خير ،بينما أتعبنى التفكير وأحنقتنى يدى الصغيرة .

عندما ظهرت اليد ثانية منقضة كمخلب قفزت متدحرجا على الأرض مبتعدا عن موضع هبوطها ،أخذت أركض ،ألتفت خلفى فكان سامح واقفا رافعا يديه بامتدادهما إلى السماء مدليا رأسه نحو

صدره ،رفعته اليد . . قليلا ثم أنزلته .نظر نحوى صامتا ثم استدار مبتعدا وهو يدعك مؤخرته بيده .

بينما كان مرضى يشتد كان سامح يتحسن ،أيقنت أنى سأموت قريبا جدا وأنه سيبقى ،أشعر كأنى خدعت ،وأن غضبى يفوق آلام موتي ،وأن سامح يضحك على فى سره ،يقلقنى أن آخر ما أحس به كراهية .

تهــالك

(١)

يضربنى شخص ما على رأسى وأنا فى طريقى إلى الحمام حوالى الثالثة صباحًا فأسقط على وجهى بين كراسى الأنتريه، خدى الأيمن على الأرض، عيناى مفتوحتان على منظر دبدوب ريم الصغير الضائع من زمان ينام على جانبه ورأسه المنفصلة معتدلة، عيناه لا تبربشان، عيناى لا تبربشان.

(٢)

أركب حمارة بيضاء بطيئة الحركة جدا، لكن يبدو أنها تعرف طريقها جيدا، أرى رأسها ورقبتها البيضاء مقصوصة العرف، أرى بطيخة البردعة ومنكبي الحمارة وساقيها الأماميتين بحركتهما البندولية، وأرى كذلك ساقيّ، وقدمي الحافيتين. توقفت الحمارة عند بيت أمامه رجل مكوّع على حصيرة، وكأنه يفعل شيئا معتادا أشار لطفل فأقبل نجوى يزعق ويهش الحمارة حتى عادت إلى الطريق تسير ببطء أكبر.

(٣)

أقف على الرصيف ثقيلا أستند على عصاى تؤلمنى مفاصلى وتربكنى سرعة تحرك الأشياء وتضايقنى الأضواء الساطعة ومصابيح السيارات، أميز التاكسي، أشير وأركب، أفتح كيس الجيلاتى وألحس لحسة ثم لحسة ثم يسقط الجيلاتي. لم أر أين سقط لأن رأسى تدحرج حتى استند إلى النافذة ملتفتا إلى اليسار. رأيت السائق ينظر لى بضيق، بقلق، ثم بفزع. تدخل فى إطار رؤيتى دائرة من الرءوس، ثم تنفض، رأس طبيب، ثم رأس ضابط. ثم رأس شخص ويداه يغطينى بملاءة بيضاء لكنى بقيت أميز الرءوس ككتل سوداء تنطبع على القماش ثم تبهت.

غير الكافي.

مقرفصاً تتزاحف حوله أوراق الأشجار الخريفية يجلس أبى بين الحائط وصفّ الريحان الذى بصفرته لا يفلح فى درء الكآبة عن المشهد، ذقنه النابتة بالأبيض وكفّاه الساندتان وجنتيه تشفّ تماماً عن المشهد الدائر فى رأسه: أربعة أو خمسة أولاد من صلبه يخوضون المعركة ضاربين محطمين، قاطعين الألسنة التى جرؤت عليه.

إلى اليسار يخرج صوت أمى فحيحاً، مقاطعه المضطربة تصوغ دفاعاً رائعاً عن الجميع فى قضية إنجاب ولد واحد إلاّ عنّي، المشكلة أن الابتعاد لا يعطينى إلاّ مزيداً من تحركات تلك النقطة الحمضية فى صدري، لكن أكيدٌ أن عدة ساعات فى الدش بكوب من الشاى قادرة على الكثير. أفكر فى أولياء الأمور المرابضين فى القهوة والذين

سيزعجهم أن يروا مدرس أبنائهم يشاهد السكس. في ظل سيارة محاذيةٍ للقهوة أتوقف ، أتطلع إلى مؤخرة التليفزيون الضخمة المطلة من الباب ، خلال ذلك الانسحاب الصاخب للقوة من ساقي طرأ لي أن المشكلة هي أنني فقط لا أكفي.

..(لا مؤاخذة) فيبي..

التبول فى الغابة أسعد شيء يفعله الليلة، أما أتعس شيء فهو الاستفسار عن مكان كنيسة الملاك بحى السلام.

- لو سمحت فين موقف السلام ؟

- (يشير يسارا) ويقول : عايز تروح فين بالظبط ؟

- طب النادى فين؟

- (يشير يمينا) انت عايز تروح فين بالظبط ؟

- آ.. عند النادى شكرا.

يتجه يمينا ويسير ببطء، فلا تزال الساعة الثامنة إلا ثلثا، يندهش من خجله أن يسأل عن الكنيسة مباشرة، بل يغضب، يصر أن يسأل الشخص القادم بكل بساطة، يلمح امرأة بلا حجاب، سمينة تترنح بكيس فى يدها، يسرع إليها بالاستفسار على لسانه لكنها قبل أن

يصل تتوقف لتسأل عن منزل شخص ما، يعود للسير المتردد ففيما يبدو أن كل الرجال فى حى السلام ملتحون والنساء منقبات، وحتى السيارة الفخمة التى تدخل إلى الشارع ببطء داخلها بياض وسواد ولحى، ومحلات البقالة كلها ملك لآل البيت أو آل على أو الراشدين أو الرواد. يسير بمحاذاة سور النادى حتى ينتهى يحاول أن يتذكر نسرين تشرح مكان الكنيسة مرتبطا بالموقف والنادي. يتردد ويفكر أن يرحم نفسه ويذهب لينتظر أصدقاءه فى الكافيتيريا، لكنه لا يفعل فهو يرغب أكثر فى رؤية فيبى الجميلة فى فستان العرس ويرى الإكليل. يفكر أن الأطفال أفضل من يمكن الاستعانة بهم. تقول الطفلة: انت عاوز تروح فين بالظبط يا عمو؟

ترتدى فيبى وشاحا وتاجا، وكذلك ماجد، يركعان أمام المذبح ويدنوان برأسيهما من بعضهما فيبدوان كطائرين عاشقين، من مكانه فى مقاعد الرجال إلى يسار الممشى يبدو له المشهد كتتويج ملك وملكة من العصور الوسطى، فى الكافيتيريا يحكى لمدحت وعبد الحميد كيف كان خائفا وبائسا وحزينا فى بحثه عن كنيسة الملاك فى حى السلام، يسود الصمت قليلا ثم يقول مدحت بغتة: ابقى قول فين(لا مؤاخذة) الكنيسة، فينثنى كل منهم بقوة إلى الخلف فاغرا فمه بأقصى صورة لتنطلق من حنوكهم دفقات على شكل قه قه قه، كركركر، بك بك بك، هى هى هي، هو هو هو. تتصاعد إلى أعلى كدخان وعندما تعبر مصباح عامود الإنارة تختفى فى الظلام.

فى الحمّام

اعتدتُ أخيرا على الجلوس بالساعات بينما خيط لا نهائي يتواصل بين فم المرحاض ومؤخرتي، كان يبدو أنه قد يستمر إلى الأبد، لكنى كنت أقطعه بإرادتى متحملا الألم لمدة لا تزيد عن الساعة، كنت فى حاجة إلى إجازة لكنى واجهت خجلا كبيرا فى وصف حالتى فأغرقت دفتر التأمين الصحى تحت كومة مناسبة فى مرحاض المستشفى.

أتاح لى الجلوس الطويل وحيدا فى الحمام أن أعتاد التفكير بعمق، فى بداية الحالة كنت نزقا أكاد لا أركز فى أمر واحد، بالتدريج تعودت التأنى ولأول مرة فى حياتى أغوص تحت سطوح الأشياء، أعدت رؤية جميع ذكرياتي، توصلت لأحكام جديدة على الأشخاص والأشياء، كان تفكيرا عميقا لا يقطعه سوى أن أشد السيفون مرة كل ربع ساعة.

الإنسان مثل الكمبيوتر : مدخلات مخرجات ، وما دمت أخرج كل هذه الكمية فلابد أنى أُدخل أكثر منها . قررت التوقف عن تناول الطعام . . بعد يومين صرت منهكا تماما وبدا أن الحالة لن تنتهي ، فى مرحاض العمل كنت كلما فكرت فى كلمات حلوة ترضى المدير ازدادت بطنى تقريصا ، وعندما دخلت مكتبه ونظرت إلى يديه (يداه صغيرتان ملساوان بأصابع قصيرة تذكرنى بالزواحف) لم أنطق. سألنى عن غيابي ، شتمته وشتمت العمل والوزارة والحكومة ، شعرت برغبة عارمة فى أن أتبرز على مكتبه ، عند الباب صرخت فيه : يا زاحف .

لم أعد أتناول إلا الماء ، انقطعت عن العمل ، عن قراءة الجرائد ، مشاهدة التليفزيون ، سماع الأخبار ، زيارة الآخرين ، فتح الباب ، النظر من الشباك والاشتهاء ، لكنى ما زلت أقضى معظم وقتى فى الحمام .

لم أعد ألتفت

في الحلم الذى لم أعد أرى غيره أنا وهى فقط، كل شيء فيها كما أحب، حتى قمحيتها الزائدة تسعدنى جدا خاصة فى ظل عدم وجود سُلطة أمي وتحمسها للأبيض، تعطينى يدها أحتضنها وأرتعش، و نمشى هكذا فيما يبدو أنه طريق، نتفاهم جدا دون أن نتكلم بينما تتبدل المناظر المحيطة بطريقنا كشاشة التوقف فى الكمبيوتر. لا أعرف اسمها أو أى شيء عنها، ولا أبدو فى حاجة إلى ذلك، لأنها هي، هى التى أريد بكل مقدرتى على الإرادة.

فى الصحو صارت كل ما أفكر فيه، أبحث فى الفتيات عنها، لم أعد ألتفت لأرى مؤخراتهن، طيلة الوقت أستعيد مشاهدى معها، أشعر بالخجل لأن عضوى ينتصب حين أصل لإمساك يدها، أحاول أن أتعلم النوم ظهرا لأراها فى اليوم مرتين.

كيف تجفف فوطةً صفراء، وتفقدها

جلسنا هكذا متقابلَين إلى يسار باب الميكروباص فتداخلت ركبنا، ركبته فركبتي فركبته فركبتي، ركبتاه أقل ارتفاعا من ركبتي وأكثر اتساخا، سوادا، زيتا، قشفا، تناول الفوطة الصفراء من حول رقبته، دفع زجاج النافذة باتجاهي، لطم الهواء وجهي للحظة فأغمضت عينيَّ، حرقتاني قليلا، أدمعتا، فركتهما، انتهى الهواء ورأيت الفوطة الصفراء ترفرف خارج الميكروباص ممسوكة من ذيلها بين حافة لوح الزجاج وإطار النافذة، تضرب الزجاج من الخارج قبالة وجهي، أشعر باللطم، أجفل، أهدأ. يلتخم الصبي بالأجرة، يتلخبط بالفكة، يخطئ، يراجع، يبدو عدوانيا. استندت بكتفي إلى زجاج النافذة، ضغطت عليه برأسي أيضا، دفعت ظهري إلى الوراء ببطء، بإصرار، تحرك معي لوح الزجاج ملليمترات فقط، كانت كافية.

أن تضيع فوطة صفراء نصف جافة إلى الأبد، هذا أكيد، وأن يأكل صبي صدئ عدة صفعات وشلوتا، احتمال.

دخل ليغسل يديه ثانيةً

عندما أدخلوه إلى المقهى وأجلسوه، وطلبوا له شايا، وصوبوا عينيه إلى الشاشة الكبيرة ذات النسوة قليلات الأدب، شعر مرة أخرى بذلك التأنيب الخفيف الناعم المنغَص، نقم على ذلك الشعور، دفعه لحفرةٍ عميقةٍ وأهال عليه كل امرأةٍ وصل إليها بصره.

سكت التأنيب تدريجيا وأتاح الفرصة للشاشة أن تكبر، تبتلعه، تمتلك جميع حواسه، لكنه بشيء ما أخذ يلمح الجالسين حوله، خشية أن يكتشفوا وجوده. لكنهم لم يفعلوا. فقط بعد قليل هزّوا كتفه. أخرجوه، أخبروه أن يسرع كي لا يتأخر فيسألوه.

في كل مكان كانت العاريات ينطبعن على الأشياء، في الطريق، في السيارة، في البيت. قبل أن ينام دخل ليغسل يديه وأسنانه جيداً، وعندما خرج فرآهن في أركان الصالة، على حوائطها، متدليات من سقفها، تذكر أنه لم يرهن في الحمّام.. تردد قليلاً ثم استدار داخلا مرةً أخرى.

هذا ليس غريباً، شيء منطقي، ما دام الموظفون صما بكما والساعي مقعد والسكرتيرات كفيفات فلابد أن يكون المدير هكذا بلا أطراف تماما.

أخذ يتأملني، يتجهم، قلت : جئت من أجل الوظيفة.

ألم تعرف الإعلان كله؟

بلى ولكنى ظننت أنها وظيفة قد تحتاج كل الأعضاء والحواس.

أخرج حالاً.

عند الباب قال الرجل ذو الكرسى المتحرك : يا بني ليست لك فرصة، أنت سليم تماماً للأسف.

فتارين المحلات تعكس صورتي، عينان، أذنان، ذراعان، ساقان، كأن محرك الشعور فى نفسى قد توقف، لا أجد شعورا أيا كان، فقط أخطو مبتعدا.

السيّد صورة الرئيس

عندما دخلت لأول مرة فصل ١ / ٦ رأيته، في حجم الباب ولكن أعرض، يخوض إلى ركبتيه في جماهير بعضهم معلق بيديه من صور صغيرة له بينما ينطمس آخرون في حروف كلمة نعم، يرفع يده العملاقة محييا شيئا ما لابد أنه في مثل حجمه خلفي، مما دفعني للالتفات.

صورة الرئيس هذه هي الأثر الوحيد الباقي على جدران الفصل منذ كان مكتبا للمدير، لم يحاول أحد خلعها، أستطيع تخيل يدى المدير الصغيرتين قصيرتي الأصابع كالزواحف تدهنان حواف الصورة بالعجين وتمسدانها على الحائط المواجه للمكتب.

يملك الأطفال من الذكاء ما قد يذهلك، وهذا لا يرتبط أبدا بمستواهم الدراسي، وبعد قليل من الوقت تكوّن معهم صلة بصرية

تريحك كثيرا فى الفصل، لكنها صلة مفتوحة من الاتجاهين، فيفهمك الأطفال بمجرد النظر ومن عينيك فقط يمسحون السبورة، ينظفون مقعدك، يفتحون نوافذ الفصل أو يغلقونها، وهذا رائع بين مدرس وتلاميذه لكنه خطير.

عندما وقف تلميذ وصاح: نقطّعها يا أستاذ؟حولت بصرى عن الصورة مندهشا ولم أجب، صاح آخر: قديمة يا أستاذ نقطّعها. اندفع الأطفال، اعتلوا المقاعد، أطاحوا بالصورة، مزقوها، تناتشها الأولاد بينما البنات تضعن أيديهن على أفواههن وتضحكن. الأولاد الأضعف بقوا عند الحائط ينزعون عنه مزقا أثقلها العجين الجاف ويضربون بها رءوس بعضهم البعض. حدث كل ذلك خلال ثوان لم أبد فيها حراكا وعندما وقف تلميذ أمامي وصاح: "بُص يا أستاذ راسه أهه". أحسست بالرعب.

مر يومان، وصار الفصل أكثر حيوية، وصارت السيطرة على الأطفال أصعب حتى أنى أتيت بعصا مهددا.

أخبرونى أن عم (سلامة الجروة) الخفير يريدني، سألت أبا نادر عن البيت فقال: خد معاك عصاية يا أستاذ فيه كلاب.. (عضنى كلب وأنا فى العاشرة من عمري، أخذنى أبى إلى المدينة وعندما توقف فى مكان ما تائها صاح: يلعن دين الحقن على دين الكلب على دين.. كنت أشعر برغبة فى الاختفاء عندما يغضب، وفى المستشفى التى سأحقن فيها واحدا وعشرين حقنة بادر أبى الممرضة بجنيه كامل قائلا: أصل يا دكتورة إحنا مش عارفين نجيب حاجة ساقعة مثلا، واتفق

معها على إعطائى حقنتين فى اليوم بفاصل ساعتين. وصارت الدكتورة تخرج بنفسها لتأخذنى من بين المعضوضين. كان اليوم الأول عصيبا بالنسبة لى حتى جلسنا على قهوة وطلب لى أبى زجاجة فانتا وشاليموه، وضحك لأن كلا منا يشرب شيشة على مقاسه).

كانت الكلاب تنتشر مقعية حول البيت الذى بدا كواحد منها ومثلها لم يأبه بي. ناولنى عم سلامة الورقة التى تحوى اليوم والساعة واسم المقدّم وحذرنى من عدم الذهاب، شرح لى عنوان مبنى أمن الدولة وأضاف أنى كان يجب أن أبقى غلبان وفى حالي.

وصلت إلى مبنى أمن الدولة فى الموعد، أعطيت الورقة إلى شخص ما، أدخلنى إلى غرفة لأنتظر كان فى الغرفة شاب يبدو مثلى قلقا وخائفا، أخذ يرمقنى ثم سأل: أنت فلسطيني؟

- لا.

كانت الغرفة واسعة بنوافذ كبيرة بلا حديد لكن ذلك لم يشعرنى بالارتياح. بعد قرابة الساعة أخذنى شخص ما إلى الطابق الرابع، صعدنا سلالم مفروشة بالسجاد لا تصدر أى صوت. عند الباب أشار لى بيده أن أطرق وذهب. ولما رآنى الجالس إلى المكتب أمرنى أن أنتظر بالخارج. بعد دقائق جاءنى صوته: تعال.

تقدمت من مكتبه.

ارجع ورا.

تأخرت ثلاث خطوات.

أنت أبوك كان فى ليبيا؟

كان يقرأ من ملف كبير أوراقه قديمة مصفرة مكتوب بالآلة الكاتبة مع خطوط بالقلم تحت بعض الفقرات. لم يمهلني لأرد، سأل: أنت بتصلي؟

- آه.
- فين؟
- فى البيت؟
- بتصلى فى الجامع؟
- يوم الجمعة بس.
- فين؟
- جامع فى العزبة مالوش اسم.
- عارف أنت هنا ليه ؟

أكثر ما خلف لدى هذا الإحساس السيئ الأبدى هو نبرة صوتي، أشرح له عدم قصديتي وغلطة الأطفال أسوأ من باك، صوتى يمسح الأرض تحت مكتبه ويقبل حذاءه. لكنى لم أدرك ذلك إلا فى الغرفة الصغيرة التى أدخلنى فيها شخص ما لأكتب شرحا لا يقل عن خمس صفحات فلوسكاب واعتذارا موقعا ثم أنصرف.

فى صباح اليوم التالى عندما دخلت الفصل فوجئت.. اكتست جدران الفصل بأعلام للجمهورية بأحجام مختلفة قماشية وورقية، وبصور صغيرة للرئيس مقتطعة من الصحف أو مرسومة يدويا، مدقوقة بمسامير أو ملتصقة بالعجين.. بدأت أشرح وكل ما أحرص عليه ألا تلتقى عيناى بأعين الأطفال.

الوقت غريب الأطوار معي..

عندما دخلت إلى السينما من التاسعة صباحا وشاهدت الفيلم ثلاث مرات، بقي موجودا. وعندما قررت العودة تمشية ووقوفا وجلوسا، بدأ يتمشى ويقف ويجلس. أفكر أن هذا ربما لا يكون هاما بالفعل، كل ما هنالك أنى أشعر بالقلق لجهلي مقدار ما تبقى، فأجد صعوبة فى مسايرة جدول الأولويات الذى وضعته لى أمي.

رامـــة

حاول معى أن تعد الصدف التى جاءت بها إليه والاحتمالات التى كان يمكن أن تسير بها بعيدا ،ولن يمكنك إلا أن تدهش وتتأمل مثلى فى الأمر.. فأن تجد منار هذه الصفحة فقط من الجريدة ،بحسابات الأوزان على هامشها ، فتطرأ لها هذه الفكرة بالذات ، وأن تفتح حقيبتها المدرسية وتتناول كراسة الإملاء اليومى دون غيرها ، وتجلدها بالصفحة ، وأن تواجه صورة رامة الخارج لا الداخل ، كى يراها هو كل صباح قبل وبعد تصحيح الإملاء..!

بعد أن انتهت منار من تجليد كراستها بصفحة الجريدة وكتابة اسمها وفصل ١ / ٦ بين فقراتها ، أخذت تنظر طويلا إلى صورة المرأة التى تتوسط الآن الغلاف الأمامى للكراسة ، تأملتها وظنت أنها جميلة جدا وطيبة ، لاحظت أن ذيل حرف الراء من (منار) قد نزل

طويلا على رأس المرأة وجبهتها وعينها اليمنى. أمسكت منار قلمها بالمقلوب وحكّت الخط بالأستيكة فمحته، وفكرت أن من حسن الحظ أنها كتبت بالرصاص. أرادت كذلك أن تضيف قليلا من الأحمر على شفتى المرأة اللتين بدتا بلون رمادي، لكنها لم تجد علبة الألوان. احتارت كثيرا عند كلمة (رامة) المكتوبة أسفل الصورة، فهى لم تسمع باسم كهذا من قبل.

بدا جامدا كتمثال، ومضحكا بتركيزه الشديد على الكراسة المغلقة، والأطفال الذين لاحظوه دقائق بدهشة، وظن أحدهم أنه لا يستطيع قراءة اسم صاحب الكراسة فقال: منار يا أستاذ، أهملوه، وحولوا الفصل إلى زجاجة كاكولا تفور فتسكب رغوة أصوات لا مفهومة على الأدوار التحتية بالمدرسة.

بدأ يمشى

جمال التابلوه وانسيابية الخطوط و«سيستم» الصوت والستائر والهواء المكيف والانفصال المريح عن الخارج المزعج. يجلس فى مقعد القيادة مستثارا، يضحك عندما تسهو قدمه اليسرى وتبحث عن الدبرياج، الثبات عند السرعة والاستقرار الداخلى والوسائد الهوائية من الأمام والجانبين وعدم ظهور السرعة الفائقة إلا فى العداد، يكاد ينام استرخاء لذلك لم يستجب للخبطة فورا ولم يضغط الفرامل بقوة إلا بعد أن تنبه إلى لطخة الدماء على يمين مقدمة السيارة ولم يتوقف تماما إلا بعد مسافة طويلة. فى محضر الشرطة سجلوا إعجابهم الشديد بسيارته مع تفسير لما حدث بأنه حادث انتحار فردي.

المدن مصممة خصيصا للسيارات، السيارة مهابة فى المدينة، شوارعها عريضة متصلة وناعمة، وليست مضطرة إلى التقافز من

رصيف إلى رصيف وتفادى فروع الأشجار والباعة والقطط والكلاب والبشر، وما يتصادف وجوده فى طريقها قطعا المخطئ.

تكرار ظهور المنتحرين أمام سيارته لم يعد يزعجه، توقف مرتين أو ثلاث ثم لم يعد يفعل، فقط صار يركز أكثر فى المشاهدة، يتوقع من كل ماش على الرصيف أن يقفز فجأة أمامه، يستعيد مساء أثناء غسل مقدمة السيارة وعجلاتها مشهد الصدمة بالبطيء، مكان اصطدام الرأس والذراعين والأضلاع، يخمن الضربة القاتلة.

ذات مساء شعر بشيء غريب، ابتعد مترا ونظر إلى السيارة، وجدها مختلفة، ابتعد أكثر.. نعم تغيرت، ذلك التعبير الفخور عن القوة والغنى فُقد، تبدو ملامح السيارة الآن متهدلة، بعد تردد طويل صدّق أن السيارة حزينة. تركها فى الصيانة ورفض السيارة البديلة التى عُرضت عليه، إنه حزين لحزنها، حزين لدرجة أنه بدأ يمشي، يختلط بالمارّة، يرى عيونهم وحركاتهم، يرى مشاعرهم. شعر بحنين ممزّق لسيارته، وهو يتأمل أفق الشارع المليء بالسيارات وجد صدره ممتلئا بالنحيب وعندما اضطر إلى عبور الشارع فكّر وارتجف خوفا أن أسوأ ما يمكن أن يحدث له الآن أن تدهسه سيارة فيات ١٢٨ مبقّعة تقودها منقبة بدينة ترتدى أسود فى أسود.

يمكنك الآن

لا أصـدق أنـى لن أحـصـل عـلى جـائـزة نـوبـل ، ولن أقف وسط الثلوج ، ولن أتعلم عزف الساكس .

- هل أنت حزين ؟

إني مذهول أكثر منى حزين ، كل تلك الأحلام ، كل تلك الآمال ضاعت فى لحظة ، لكن الشيء الذى يحزننى حقاً هو أنى أضعت العشرين سنة دون أن أسعد ، أتعرفين؟ لم تكن طموحاتى سر كآبتى بل كان افتقادى للحب ؟ ، كنت دوماً أنتظر فتاة أحلامي ، كنت أنتظر كى أفرح معها .

- كيف كنت تتمناها ؟

كنت أتخيل كفّيها النحيلتين الهشتين فى أحضان كفّى الضخمتين السمراوين فأحسد نفسي . الآن أنا لا أملك هاتين الكفين

أساساً، كنت دوماً أنتظرها والغريب أنى لم أفقد هذا الإحساس الآن.

- تعجبنى أفكارك.

- أتعرفين؟أنا لم أتحدث مع أحد منذ جئت لكنى فتحت لك قلبي.

- أنا أيضاً لم أقترب من أحد هكذا في أى من العالمين.

- كم عمرك؟

- مائتان، بعد السابعة عشرة. أتعرف؟ يمكنك الآن تحقيق أحلامك، تذهب إلى كل مكان به ثلج فى العالم، وتحضر حفل توزيع جوائز نوبل كل عام وتتعلم عزف الساكس، ستجد هذا سهلاً بعد أن تخلصت من الجسد.

- هل تأتين معي؟

- يسعدنى ذلك.

- آ.... كيف كانت كفَاك؟

- كانتا نحيلتين.

التحول الثانى لوسادتي

أحيانا تفاجئنى عارية تماما، وأحيانا تخلع ملابسها قطعة قطعة وهى تتلوى وتئن، مزّقتها، نشرتها فى الشمس، صنعت لها قلبا جديدا أبيض وفستانا رائعا، هدأت أخيرا، فضممتها بشدة وأخذنا نجوب الغرفة ونرقص.

لم أكن أعرف أنى أملك كل هذه الدماء

لماذا تزرع البلدية زهرة بيضاء واحدة وسط الرصيف؟ إنها جميلة، أرجو أن تنجو خلال قتالنا مع المتمردين، كيف تميز المتمرد من الرجل العادي؟ بالتأكيد هو مسلح ويريد أن يقتلك،ربما يسيل اللعاب من شدقيه كذلك. لكنى لم أطلق النار من قبل إلا على اللوحة ذات الدوائر السوداء - هذه الزهرة جميلة حقا - تلك الدوائر تذكرنى بالتنويم المغناطيسي، أكاد أشم عبير الزهرة من مكانى و(آه) يجرى الجميع، يصيحون، يطلقون النار. لكن لماذا أرتمى أنا على الأرض هكذا؟ أرفع رأسي بصعوبة فأرى الزهرة، هل صارت أجمل، وأقوى عبيرا بالفعل؟ أين زملائي؟ هل متوتر كوني؟ إنى لا أشعر إلا برغبة عارمة فى النعاس،أريد أن أنام، والزهرة.. تتناثر حولها أحجار الرصيف والشظايا لكن شيئا لا يمسها، ما تزال حية

جذابة، كذلك أنا،سأتماسك بينما يقضي زملائي على المتمردين، لماذا تمردوا؟ لا أعرف، لقد كنت أنا يوما ما متمردا، والآن لماذا لا أفعل؟ربما لأني لم أعد شابا وعاشقا، كنت أكتب الشعر وكانت تغضب إن أنا قرأته لغيرها، جميلة هي مثل هذه الزهرة، غريب هذا، لقد صارت الزهرة أقرب، صار عبيرها أقوى من أية رائحة أخرى، تجرى حولها الأقدام، تداريها عني الإطارات الضخمة،لكنها تظهر دائما أكثر بياضا وحياة وأكثر قربا، لن أموت، هي تقول لي، زملائي يقتلون المتمردين الآن، لكن يبدو أنهم أقوياء جدا، بالفعل كانوا أقوياء جدا وكانت النتيجة اثنتي عشر هدفا مقابل هدفين، وطردني الأولاد لأني كنت حارس المرمى، لكنني لن أموت، لن أموت، أنظر إلى الزهرة البيضاء لا أحول عنها عيني، لن أتركها أبدا.

غـزل

فوق، من شرفة الطابق الخامس، رأيت أربعة فتيات يمشين فى الشارع، من الأعلى أرى الشعر الأسود والأصفر، المسيّب والملفوف تندفع أمامه وخلفه الأثداء والأرداف، قفزتُ، فى الهواء أجاهد لأجعل ظهرى للأسفل، أصطدم بسقف السيارة المحاذية للرصيف، يتدلى رأسى على زجاجها الأمامى مفتوح الفم والعينين، والدّم ينساب كنهر من شعرى على زجاج السيارة ومسّاحاتها ومقدمتها التى تفصلها عن الفتيات خطوة واحدة.

حذاء جدّي

كانت قدما جدى الحافيتان تؤلمانه كثيرا أثناء الصيد وجمع والتقاط الثمار، وعندما يعود إلى الكوخ ذى الأرض المكسوة بالجلود يتمنى لو كانت كل الغابة مكسوة كذلك، ثم اكتشف أخيرا أنه لا يحتاج إلا لكسو قدميه فقط، يكفيه لذلك أقل من جلد حيوان واحد.

جملة واحدة تكفي

أنا مدرس للغة العربية، في حصة التعبير أجلس ويتناوب الأطفال الوقوف أمامي لأقيّم لهم موضوعاتهم.. "الإسراء والمعراج"
"كان الرسول نام عندما جاء رسول من الرسول وقام..."

أنا لا أقرأ هذا عادةً، فقط أعطي درجةً تعتمد على عدد ما ألمحه من شطباتٍ وبقعٍ ونزولٍ عن السطر، لكن هذا الولد الذى جاء أخيراً وبعد أن خضّبتُ صفحته بالأحمر، شيء ما جعلني أبذل جهداً في فك طلاسم ما كتب، صاعداً هابطاً ملتفاً، معوضاً مكان الحروف المنسية، مما دفعه لأن يستدير ناحية زملائه متبادلا معهم الإشارات والضحكات نصف المكتومة. كان ما كتبه قليلا بالفعل، وفي النهاية لم أخرج إلا بجملة واحدة: (لقد استيقظ، وركب على البراق، وذهب إلى الله).

جميلة جدا أنت يا خضراء

البنت التى أحببتها سمراء، من مدينة بعيدة، صاحت أمي : إنها قبيحة، سوداء، عينيها تحتهما جيوب، أنفها يسيح فيوجهها. لم أقتنع، تعلقتْ بكتفى وبكتْ، اقتنعتُ.

زميلتنا الجديدة رانيا لها عينان خضراوان، وتتحدث كثيرا عن خطيبها، كنت أجلس ممددا ساقى دون مشاركة، عندما صرنا وحيدين أشرتُ إلى حقيبتها وسألتُ : ماذا بها؟ ازدادت عيناها جمالاً بالدهشة.

فى اليوم الذى قابلتُ فيه لأول مرة حبيبتى وقف أمامى رجل يقرأ الأبراج فى جريدته، نظرتُ فوجدتُ أن اليوم سيحدث لى ما يغير حياتى إلى الأبد.

بالأمس قابلتُ رانيا، ابتسمنا، كانت تعقد إيشاربا فى لون الجيبة حول رقبتها. قلت : جميلة جدا هذه. كانت قد قالت لى

عندما سألتُ عن محتويات حقيبتها أنى جريء جدا، وأن حتى خطيبها لم يسألها عن ذلك. أسعدني أن أفعل ما لم يفعله هو، لكن لو أني جريئ بالفعل يا رانيا لقلتُ: جميلة جدا أنت يا خضراء.

الـ ٢٨

حلمت بأن لدى سيارة ١٢٨ حمراء أقودها ومعى أمى وفى المقعد الخلفى طفلة جميلة هى ابنتي، كانت بيضاء بشعر أصفر تنظر من الزجاج الخلفى ثم استدارت وابتسمت لي. فى نهاية الحلم واجهتُ صعوبة في إيقاف السيارة لأن الفرامل كانت مدلاة من السقف وكنت أصرِّ أن أدوس عليها بقدمي.

في الصباح حكيت الحلم لزوجتى مع وضعها هي مكان أمى فضحكت كثيرا، بعد الظهر فكرت أن هذا الحلم على حقيقته سيضحك أمي أيضا، هممت أن أذهب وأحكيه لها لكنى توقفت وسألت زوجتى إن كانت تكلمت مع أمى اليوم فقالت: "أيوه، وحكيت لها حلمك بتاع إمبارح، بس ما ضحكتش".

فقط رمــال

عندما أعلن المذيع «هنا لندن» صدمته موجة سعادة غامرة، إنه بالفعل فى الطائرة، وبعد دقائق فقط ستكون لندن هنا بالفعل. ضحك، صفق، استدار بكل جسمه وقال لجاره: أتعرف، كان يراودنى شك فى وجود العالم بإطلاقه بفضائه اللا نهائى بزخم الأشياء داخله، طرأ لى مرة أنه اختراع فذ لخيالي، نزعة مازوشية لديَ، فى الواقع شككت كثيرا فى قدرتى على الخروج. تبسم جاره. يحل حزام المقعد، يقبض على الجواز بقوة، طالما انتظر هذه اللحظة، عندما تلامس قدمه اليمنى سطح الخارج، خطوة صغيرة يبدأ بعدها انطلاقه اللا محدود، لندن باريس أمريكا روسيا اليابان.. يهبط السلم، يرسل قدمه لأسفل، تتوغل فى شيء متفكك، ينظر.. رمال! كيف يمكن أن تكون هنا رمال؟ يرفع بصره لا شيء، لا أبراج، لا أضواء، لا سيارات بعجلات قيادة فى الناحية اليمنى، ولا طائرة.

زميلتى القديمة جدا

هذه . . ؟؟

كانت تجلس بموازاتى فى امتحان الرياضيات أيام الكلية ، ولم تمانع فى تغشيشى برعاية المراقبات الرحيمات . . اسمها . . ؟؟ ذات مرة أوقفتنى أمامها فى المدرّج وأخذت تمشط شعرها تحت ظلى وهى تضحك وتقول: شريف منّا وعلينا . .أذكر أن اسم أبيها ذو رنة مميزة ، لو تذكرته لتذكرت اسمها . . آخر مرة رأيتها قبل سنين ، كنت أبحث عن عروس وكانت أصابعها خالية من الدِبل ، الآن أنا زوج وأب ، ترى كيف حال أصابعها؟

اسمها . . ؟؟ اسم أبيها . . ؟؟ كان شعرها أيام الكلية قصيرا وخفيفا ، عندما قابلتها فى الميكروباص بالحجاب بعد الكلية لم أعلّق كما لم أعلّق من قبل على شعرها ، لا أذكر هل دفعتُ لها الأجرة أم دفعتْ لي . . اسمها من النوع ثنائى النغمة ، كذا كذا فقط ، فلا يدفعك للبحث عن جد أو لقب ، يشعرك بالاكتفاء .

ج.ع.م - ٣٥ح - ٦٢

ذهبنا لنرى القنبلة، كانت فى حجم الشمامة الكبيرة، أخذنا ندور حولها، صدئة تماماً ومكتنزة، ذكرتنى بالقنابل المتساقطة فى التليفزيون كل أكتوبر، نهرونى عندما مددت قدمى نحوها كانت غريبة بسوادها وثقلها وسط الانبساط الرملى المطلق، وبالابتعاد عنها تزداد إدهاشاً وجاذبية. نادت على نهى بصوت شرخ الصحراء نصفين، اضطررت لانتظارها كانت حافية تحمل الصندل فى يدها، صاحت: رايح تشوف الأمبلة؟ تشابكت أصابعنا، ركزت بصرى فى الأرض مستشعراً الرمال ينطرها الشبشب إلى رأسي.. رأيت ظرف طلقة فى حجم الإصبع، كانت قمته مثقوبة ومحشواً بالرمل نفخت فيه ومسحته.. من مسافة بعيدة تجذب القنبلة عينيك، نقطة غامضة تبدو شريرة وفاتنة، بعد عدة دورات حولها تعلقت نهى برقبتى وقالت: بوسنى كانت قبلة طويلة، وحشية.

قبل الغروب ذهبت وحدي، كان لدى القنبلة آخرون، سيدات ترتدين الخمار وأطفال، وقفتُ بعيدا، كانوا يركزون فيها أبصارهم ويهمسون، لاحظت أنهم يتحركون حولها في دائرة دائماً يدورون.. بين حين وآخر كان طفل يمسك بيد أمه ويصيح: ماما، هى فيها إيه ؟.. فيها إيه يا ماما؟ ذهبوا.. ببطء، أخذت أقترب، لم أطف، قرفصتُ فى دائرة الأقدام ثم كوَعتُ، كان شعورى جديدا، طفلاً.. فى الليل ظهرت القنبلة كالنقطة الأشد إظلاماً دائماً حتى مع الابتعاد عشرين خطوة ظل حضورها محدداً، ثقيلاً.. فى طريق العودة عرفوا أن الظرف الصغير فى جيبي، صاحوا: متوديناش فى داهية، ده أمن دولة. تأملت (ج.ع.م - ٣٥ح - ٦٢) على قاعدته، أخرجت يدى من نافذة السيارة، أفلتّه.

رجل عجوز جدا على دراجة هوائية

ليس غريبا أبدا أن أتحول إلى هذا الرجل، فلدى بالفعل دراجة هوائية، ونحيل مثله، وأعتقد أنى سأنكمش لأصير فى مثل طوله، سيصيبنى الصلع، وسأرتدى طاقية صوفية لأتقى البرد، سأبدّل ببطء، وأنظر خلفى قبل أن أعبر الطريق، لأنى لن أريد أن أموت، ليس قبل أن تتوقف البنات عن الجمال وعضوى عن الانتصاب، ليس غريبا أبدا أن أنتهى إليه، وربما أفضل، لأنى أود كثيرا عندما أصير رجلا عجوزا جدا على دراجة هوائية أن أوحى لشاب جالس على مقهى بنهايته.

عزة قــردة

لنقل أنك لو أغلقت شيش نوافذ غرفتك وبابها ظهر أحد أيام الصيف لوصلت إلى درجة الإضاءة التى أريدك أن تتخيلها.. المهم، وضع الحلّة على الأرض فى وسط الحجرة، ثم كفأ عليها الطشت، وضع القلة فوق الطشت وغطى فوهتها بطبق ملأه بالماء، أشار إلى فتبعته إلى الخارج، أغلق الباب وبدأ فى الطواف حول الحجرة ماشيا ببطء يهز قبضتيه فى وجه الهواء ويعزّم بألفاظ قوية. يبدو المكان تجسيدا للوحدة، وحدة الشمس فى السماء، وحدة ظل شجرة زيتون اندس فيه بوز سيارة مازدا موديل الثمانينات، وحدة الحجرة فى الخلاء، وحدة الرجل فى الحجرة ووحدتي.. انتهى طوافه عند الباب وسمعنا من الداخل بوضوح خبطة، استند إلى الباب منهكا يلهث ثم فتحه.. فى الداخل كان

الطبق منزلقا من فوق القلة وكان ما به من ماء مرشوشا بتساوٍ فوق التراب على شكل دائرة، رفع الطبق والقلة ثم الطشت، مد يده فى الحلة وأخرج (زلطة) ناولها لي، ثقيلة صلبة، عليها آثار إسمنت جاف (إنها زلطة) قلتُ. أخذها، رفعها إلى مستوى وجهي، ضغط عليها بأصابعه وهو يعزم، تفتت، تساقطت قطعا صغيرة وحبيبات وظهرت من داخلها ورقة ملفوفة بعناية، فكّها، كانت بها فتلة فى طول القلم وعظام صغيرة بدت كعقل الأصابع، وعلى الورقة كتابة ورسومات: عزة قردة، عزة عفريتة، عزة قردة، عزة عفريتة، مع أشكال قرود وعفاريت بعيون مشقوقة بالطول.

وضع كل ذلك وأمسك بالفتلة من طرف وناولنى الطرف الآخر، كانت معقدة بعدد لا يحصى من العقد، أخذ يهز الطرف الذى يمسكه ويعزم، والعقد تنحل، والفتلة تطول، حتى بلغت عدة أمتار. جمع الورقة والفتلة والعظام، وألقاها جميعا فوق الجمر.

غسيل

تندفع نحو الطشت الضخم الذى تتماوج فيه رغوة المسحوق بقوة تلك الرغبة المحمومة بداخلها فى الغسل، تحيط بها كومات الملابس المتسخة الهائلة كأنقاض بنايات وهى تُعمل يديها فى قطع الملابس المبقعة بنشاط مجنون محاذرة أن تنزلق قدماها الحافيتان من حافة الطشت إلى داخله العميق، دون أن تدرك استحالة هذه المهمة، يجيش داخلها بالقلق والتهافت بينما تتجه عيناها إلى الكومات المشرئبة نحو السماء، تجرف بنطالاً هائلاً، بصعوبة تستطيع الاحتفاظ به، دائماً كانت تكره الجينز، إنه ثقيل، لكنها لا تتركه، تنشب فيه أصابعها قابضة داعكة لكن أصابعها لا تتحمل، تتفتت تحت الضغط كأنها من الفخّار، تتساقط قطعاً صغيرة إلى المياه الرمادية، تلحق بها

كـفَاهـا ، تـقـبـض عـلى سـاق الـبـنـطـال الـغـائـرة بـسـاعـديـهـا . لا يتحـمـلان تغـزوهـمـا شـقـوق طـوليّـة حتـى المرفق ، وقـبل أن يهـتـالا تحتضن النسيـج الخشن وتضـمـه إلى صـدرهـا بكل ما بهـا من قـوة ، تشـعـر بالـوهن يجتـاحـهـا رعـب شـديـد فـتـنـحـنـى لـتـمـسك الـنـسـيـج بأسنانها ، تعـضـه ، تغلق عـليه بشـفـتـيـهـا ، تسـتـبـسـل بـيـنـمـا تـنـغـلـق المياه الرمادية من فوقـهـا .

عينان واضحتان جدا

برأسه الصغير الغارق بين كتفي التلميذين المجاورين له، المنكفئ دائماً على شيء أياً كان ذلك الشيء، مسماراً بارزاً، شظية من خشب التختة المهترئ، أو جزءاً من ملابس تلميذ آخر. لا أدرى لماذا جاء إلى أول الصف مواجهاً لطاولتي، هو لا ينظر إلى السبورة أبداً، يعتاد الترحال بين ركن وآخر، ينهمك فيه بصغره الشديد يفعل شيئاً ما. ضايقني منظر جمجمته الضئيلة تطفو وتنغمس أمام حافة الطاولة، أمسكت العصا ودققت الحافة قبالته بشدة. يرفع إليَّ عينيه كأنه يراني لأول مرّة، عيناه واضحتان جداً، أوضح شيئاً من ملامحه الملموسة، لحظات لم أدر ما أقوله فعاد إلى حيث كان منكفئاً غارقاً.

بيدى يتردد القلم فوق بطاقة المتابعة الخاصة به، كيف يمكن له أن يمتلك شيئاً خاصا؟ أكتب: لا يمتلك أيّة مواهب أو قدرات خاصة.

جائعٌ مثلى

بنتُ اللئيمة، تَعدُ بكل شيء ولا تعطى شيئا .. سلمتْ عليَ، يدها بْيضاء طرية، بأصابع تحدت الكبت فاستطالت وتتوجت بأظافر وردية ذات أهلّة بيضٍ عند منابتها، قالت: اعمل كده: (أخرجت لسانها ومرت به على شفتيها ثم أدخلتهما بين أسنانها وضغطتهما فخرجتا حمراوين كالفراولة)، شفايفك بيضا أنت عندك أنيميا ولا إيه؟ أخرجتُ لساني ولعقتُ بعنف شفتيها (فى خيالي)، ثم قلتُ: أنا عندى كل أنواع الأنيميا.

أنتظرها أمام السينما منذ ساعة، متشبثا ببقية ذكوريتى أمامها أقاوم الاتصال بها، أتسلى بأخذ الشارع تمشية من عند الممر وحتى الكوبرى الصغير، أراقب شابا مرتديا ديكيَته للمتأبطة ذراعه، حاولت أن ألمح أظافرها فلم أستطع، أراقب البنات، أردافهن،

أثداءهن، شفاههن، عيونهن، أصابعهن، أظافرهن، فينتصب لدى شعور بالحزن. أتمنى أن يأتي عصر النساء، ربما حينها وقفت هنا واحترفت البغاء، سأكون إغراء من الدرجة الثالثة، بين القبح والعار إذن سأجد الحرية والمتعة، وربما عندما يكون الرجال هم البغايا يتوقف العار عن اتخاذ البغاء عائلا.

على المقعد الحجرى تحت الشجرة يجلس رجل نحيل جدا، يتطلع إلى كأنه ينتظرني، ينادينى باسمي، يقول أنه المؤلف، يخرج أوراقا وقلما، يقول أنه قادر على إسعادى مثلا أن يجعلها تأتى فى الموعد، تحبني، يجعلنى أقل أنيميا، أكثر شبعا. دون أن أرد أستدير وأمشى مبتعدا عدة خطوات، قلق جعلنى ألتفت، أراه قد وضع ساقا على ساق يكتب شيئا فى الأوراق، أعتدل وأشرع فى الابتعاد بسرعة أكبر لكنى أسقط أرضا كالحجر، أنظر خلفى فزعا، مازالّ جالسا يكتب في هدوء، وعندما أحاول الوقوف أكتشف أنى بلا ساقين، لا دماء ولا ألم لكنى بلا ساقين.

جلدا على عظم يقف كلب على الرصيف المقابل ينظر لي، ويتابع توافد السيارات فى الشارع بيننا، كأنه يتحين فرصة للعبور.

نعم، ضع قالبا واحدا من الطوب، حركه يمينا ويسارا حتى تستوى تحته الأرض، وافعل المثل مع اثنين آخرين لتحصل على طابور مستقيم من ثلاثة قوالب، الآن ضع ثلاثة قوالب أخرى فوقها بالضبط، ثم ثلاثة، ثم ضع قالبا واحدا على القالب الذى فى الطرف، أى طرف حسبما تريد أن تولى وجهك، ثم آخر فوقه.. الآن ابحث عن عودين من التوت ـ لأنه قوى ـ الناشف ـ حتى لا ينثنى ـ احشر أحدهما بين قالبى الطوب العلويين، ادفعه حتى يظهر طرفه من الناحية الأخرى، والآخر تحته بين القالبين السفليين هكذا أحسنت. يمكنك الآن أن تركب على الرصّة المنخفضة تضع قدميك على العود السفلى وتمسك العود العلوى بيديك وتنطلق، فقد أصبح لديك الآن الموتوسكل الخاص بك.. حرك قبضتك اليمنى

لأسفل وأصرخ بأعلى ما لديك من صوت، وبأغلظ طبقة فى وجه الكون: عننننن عنننننن عنننننننننن..

اسمح الآن للتراب أن ينفجر كنافورة تحت عجلتك الخلفية، وللموجودات أن تندفع بشدة إلى الخلف، اعمل ما بدالك من خمسات وأمريكانيات ثم اهدأ قليلا، والآن زد من سرعتك فى خط مستقيم، دع الأرض تهبط فجأة لأسفل، لأسفل، تبتعد، تختفي..

نعم، أنت تطير.

التسعة والعشرة

الفلاحة في السوق ،وأنا في السـوق يحنقني الضجـر ،ضجر لا يقدر عليه
ـ بل يزيده ـ يقيني بعهدها الضمني لي بالطعمية والبوظة بعد أن تبيع كل
كريات الزبد الطافية على اللبن الحامض في الحلة. كانت ليلة أمس قد
جمعت كل قشدة الأسبوع الماضي نصف الصفراء نصف المرّة في هذه الحلة
وأخذت بيدها تدوخ القشدة في دوامات لا نهائية ،تشاهد المسلسل
وتدوّم ،وأنا لا أحوّل عيني عن الدوامة نصف الصفراء نصف السائلة
أبدا ،بالأحرى هي التي لا تفلتني إلا مغلوبة ، متكسرة ،متحولة إلى نتف
طافية قتلتها الفلاحة سفرا ، بعد ذلك تصنع منها كريات في حجم الليمون
من أجل السوق .

ـ بكام؟

ـ التسعة .

يسألن ولا يشترين فأنادي: طب العشرة ،تزغدني الفلاحة: اسكت ياله .

لم أحب السوق أبدا، بنسائها وغبارها، بلحظات الفن عشوائية الظهور فيه، حتى للطعمية والبوظة كان حبى يليق بأن ينتهى بجريمة،أقول لها مبرطما : هتسيح.

كانت فى الليلة السابقة قد صعدت السلم الخشبى حاملة الحلة على رأسها، تسندها بيد وتتشبث بيد، لتتركها فى طراوة الليل لتجمد، ثم خافت أن تعبث مخلوقات الليل بها فصعدت حاملة حجرا لتضعه فوق الغطاء، ثم خافت أن يتسرب التراب العالق بالحجر إلى الزبد فصعدت حاملة جلابية لتلف بها الحجر، لكن الزبد فعلا سيسيح.

لم تعد هناك طعمية ولا بوظة،بعد السوق صارت هناك الوحدة الصحية، بدّلنا البوظة بتذكرة لخلع الأسنان،كل أسبوع ضرس، دوامة، زبد، سلم، ضجر، سيحان، ضرس.

ضرس ذلك اليوم كان الأصعب، أبكاني، أرادت أن تواسيني، أن تشترى لى شيئا، قالت : بس هتاكلها ازاي؟ لحظتها وقعت عيناى على أول مجلة ميكى فى حياتي، بعدها حلت المجلة محل تذكرة وحدة الأسنان والطعمية والبوظة.

تدلف الفلاحة إلى السوق بحقيبة فارغة،وهذا يعنى أن الامتلاء انتقل إلى بكّها،أنا أنتظرها فى السيارة على حافة السوق، صارت عجوزا، وأنا نصف شيخ،أراها تنحنى تقلب فى الأشياء، بيد كفّت عن صنع الدوامات فى المساء،فبدا أن السوق تلقى لى على ساحلها بلحظة فن عشوائية، لكنى أضغط زر رفع الزجاج لأمنع الغبار والضجر من الدخول.

"شفايفى لما أجيب سيرتك..."

كان يقود سيارته مستمعا إلى أغنية رومانسية قديمة والتى تزيد من إحساسه بالوحدة، لم يكن متعجلا، كان هناك وقت حتى يحين موعده مع صديقه - وقت طويل فى الحقيقة - دائما ما يصل مبكرا جدا وينتظر، والانتظار يزيد من إحساسه بوحدته ويفسد أية متعة للأمسية.

بينما كان يقود غير مسرع رأى امرأة تقف على حافة الطريق تشير إلى السيارات، من بعيد رأى أن لها خصرا طويلا ناحلا، فكر: ما أجمل لو استطاع احتضان هذا الخصر بذراعيه فى رقصة بطيئة! عرض عليها توصيلها، بتردد قبلت، لم تكن الأغنية قد انتهت بعد، وكان قد رأى أن للمرأة عينين وشفتين جميلتين كذلك، فكر: ما أجمل لو أن هاتين العينين امتلأتا بحبه وهاتين الشفتين ابتسمتا له

أثناء تلك الرقصة! لكنها كانت تجلس منكمشة فى كرسيها، ملتصقة بالباب، ناظرة من النافذة فبدت بعيدة وغير مهتمة، مما جعل صورة تلك الرقصة تبهت وتتلاشى.

انتهت الأغنية وأراد أن يستمع إليها ثانية، لكنه لم يجرؤ على مد يده نحو الكاسيت، وفكر: ما الداعى على أية حال؟ بعد صمت بدا طويلا سألته إن كان سيمر على وسط البلد، وكانت تبتسم، ابتسامتها جميلة كما تخيل، قال: سآخذك هناك. شكرته، سألها إن كانت تحب سماع الأغنية فقالت نعم. بدأت الأغنية مرة أخرى وخلقت جوا من الشوق، بدا أنه أثر فيها، جلست براحة أكثر، فقدت اهتمامها بالنافذة، حتى أنها ألقت عليه نظرة أو اثنتين. كان هو يبحث عن شيء يقوله كى يستثمر هذا الجو حين اضطرب محرك السيارة ثم توقف، لم يعرف ما الذى يحدث، لم يستطع تشغيل المحرك مرة أخرى، ظل يردد: أنا آسف. نزلا، واقترح عليها إيجاد سيارة أخرى، كان خجلا للغاية، عرضت عليه مالا مقابل التوصيلة غير المكتملة فرفض بشدة قائلا: أنا آسف. ذهبت، وفكر: أنا آسف. حدث ذلك أمام محطة بنزين، دفع السيارة إلى هناك، سأله العامل إن كانت فارغة، فقال إن مؤشر البنزين لا يعمل وطلب منه أن يملأها، كانت عيناه تبحثان عنها وكانت هى قد وقفت على حافة الطريق تشير إلى السيارات، فكر: ربما اشتغلت السيارة ولحقت بها. قال العامل: كانت فارغة، وبعد ثلاث محاولات اشتغل المحرك، قاد إلى الطريق ونظر إلى حيث كانت فلم يجدها، بحث عنها لكنها كانت قد ذهبت، فكر: لقد ذهبت.

الربيع أيضا قادر على الشر

ازداد ألم عينيها ، أخذت تفركهما فازدادتا إحراقا وتدميعا ، والظهيرة حارة جدا ، الربيع قادر على الحرارة إذن وعلى الغبار والعرق ، "جو زبالة" تفكر ثم تبتسم وهى تتذكر أباها الذى كلما ذكر أحدهم الجو السيئ أمامه صاح بعلو صوته "حكومة وسخة" .

ما زالت صور الشيخ ثقيلة على ذراعها ، وتملأ حقيبتها ، بعض الصور تظهره بجلباب أبيض وعمامة مسدلة على كتفيه ، وبعضها بالبدلة والكرافتة ، تتأمل صوره بعينيها الحمراوين ، تتمهل عند لحيته الهائلة المغرية بالتمليس ،الموحية بالنعومة والنظافة الشديدة ، تقرأ بتعتعة البنود التى سوف ينفذها للشعب ، تعليم ، علاج ، سكن ، صحة ، عمل ، تبلع ريقها عند

الألفى جنيه كحد أدنى للأجور، تسرح وعيناها مفتوحتان على السيارات المتوقفة فى إشارة المرور، (السيارات مغلقة النوافذ تعنى أنها مكيفة.) وعلى ملابس النساء الراكبات فيها ،على لفة طرحهن، أحمر شفاههن، نظاراتهن، أصابعهن. أيقظها أصبع ممدود من يد ممدودة من ذراع ممدود من نافذة سيارة، لكنه لم يكن أصبعا نسائيا، كان أصبع الشيخ المشرف يشير لها بمتابعة العمل، اندفعت بين السيارات تلقى إلى من بها الصور "صوتك أمانة إدّيه لمولانا".

اضطرت أن تغامر بالتحويد على المستشفى الأميرى لتكشف، فعيناها تؤلمانها حقا، لا تستطيع أن تواصل التوزيع بهاتين العينين، الدموع فيهما تموّج المشاهد أمامها، والشيخ المشرف بالتأكيد لن يمر ثانية قبل ساعتين.

تأملها الطبيب أكثر بقليل مما يفعل عادة مع المريضات قليلات الجمال، وأخذ ينظر إلى صور الشيخ بضيق، وهو يجرى الكشف على عينيها الملتهبتين ببطء وتردد انتابته فكرة أن يعطيها قطرة توسيع قاع العين فتظل لا ترى سوى خيالات لبقية اليوم فيحرم ذلك الشيخ إحدى أدواته، ثم تردد لأنه سيحرمها كذلك مما قد يعطونه لها آخر اليوم، أخيرا أعطاها الروشتة وتركها لتنصرف، استدار فرآها قد تركت على مكتبه صورة للشيخ وهو يبتسم بثقة، فاستوقفها قبل أن تبلغ الباب "عاوز أشوف قاع العين".

عندما كانت الممرضة تقطر فى عينيها قطرة التوسيع فكرت أن الطبيب لابد يريد أن يكرمها لأنها تعمل للشيخ، فوجهه بدا لها مضيئا بنور الإيمان، وقد رأته ينظر إلى صور الشيخ باحترام كبير، كما أنه يعلق فى رقبته سلسة تحمل صورة صغيرة لشيخ لم تره من قبل، شيخ طويل الشعر ومنكوش اللحية، ويرتدى كاسكتة حمراء على مقدمتها نجمة، ثم تساءلت كيف يكون الطبيب ملتزما ويرتدى سلسلة؟، لكن فكرت: من أنا لأعرف كل الإجابات؟

كالرجل الأخضر

كان دائماً يحلم بأن تتضخم عضلاته، وينمو صدره حتى يمزّق القميص ويبرز منه قوياً ضارياً، وبعد يومين فقط سيتحقق ذلك وسيمزق صدره القميص منتفخاً، وستطاول المطواة المغروزة فيه حشائش ذلك المصرف الكثيفة المظلمة.

فقط نحتاج بعض الرتوش

أنا وأنت عاقلان ، نفضل أن نترك العراك للآخرين ، نحن الأذكى كما تعلم وأيا كان المنتصر سنجد لنا مكانا معه ، تعال إلى الشرفة هكذا نرى الميدان أفضل .

الحشدان متقابلان ، يفصلهما الشارع الذى توقف عنه تدفق السيارات ويكاد الهواء فيه أن يكون مضغوطا بفعل دفع كل حشد بعدائية تجاه الآخر ، هناك حشد كبير تكتظ به الحديقة يغلب عليه اللون الأبيض ويدوى صوته كقطار ، بينما الحشد الآخر أقل عددا ، يظهر خليطا من الألوان والأصوات ويبدو راغبا عن الدخول فى معركة ، إلا شابة منه أخذت تتقدم بثبات نحو الحشد الكبير .

تشرب بيرة . . حسن لا تنظر لى بغضب هكذا ، أشرب وحدي ، في صحتنا . . ما هذا الذى تحمله فى يدك ؟ نظارة مكبرة ! تحب أن

ترى التفاصيل إذن، أنظر إلى تلك المزه التى تتقدم نحو الرجال بلا تردد، تتجه مباشرة إلى أضخمهم، هل تسعى إلى حتفها؟ إنها تقفز عليه وتعانقه!! أعطنى هذه النظارة.

تعلقت الفتاة برقبة الرجل الضخم بكل قوتها وأخذت تقبله فى فمه، وتدفع لسانها بين شفتيه بعنف، أسقطها أرضا، بيده يمسح فمه ولحيته، يلتقط سيفا ويرفعه عاليا فوق رأسها بكلتى يديه حتى انحسرت جلابيته القصيرة عن ركبتين غليظتين واجهتا عينى الفتاة المستندة على الأرض، لكنه يتوقف وينظر إليها كالمسحور لثوان، ثم يلقى السيف جانبا، يشهق نفسا عميقا ثم يهتف: حرية

لحظات ذهول تأخذ الجميع إلا الفتاة التى ظهر الحماس على وجهها وقفزت تقبل واحدا آخر، ثم آخر.

حسن، لقد تغير الموقف بطريقة لم نتوقعها، لكن لا تقلق يا عزيزي، مازلنا مناسبين للمرحلة الجديدة.

لهذا أيضا أنا أحب الأبلة إيمان

ذبابة . . ذبابة في أنفي ، تدفع نفسها صعودا ، ذبابتان أمام عيني ، ذباب عديد ، هش الذباب يتطلب يدا ويداى تتشبثان برأس أمي ، تزحزحان طرحتها ، بينما تتدلى ساقاى على صدرها وظهرها كأنهما تلفيحة أبي . لم تعد تحملنى بين يديها كما كانت تفعل فى السابق ، صرت أثقل من أن تتحملنى ذراعاها ، تحملنى على كتفها الذى يؤلم مؤخرتي ، تسند ظهرى بيد وتحمل حقيبتى المدرسية باليد الأخري ، وتضرب بقدميها الأرض باعثة هبات من الغبار الندى ذى الرائحة الأليفة الخانقة ، أرى جبهتها تنتج العرق مع ما فى جو الصباح الباكر من برودة ، أراها تبتسم من تحت أنفها أم أنها تكشر ألما ؟ تقول : الشنطة تقيلة قوى يا أحمد ، فيها إيه ؟ فأتذكر الكراسة الجديدة فأقول : ألاسة تديدة ببـ بس ، واحدة بس .

تركني العيال وحدى في الفصل وخرجوا جريا إلى حجرة الحاسب يتسابقون بسيقانهم الصلبة، أنا لا أحب السيقان الصلبة، أحب السيقان الطرية، سيقان أو سوق الكلمتان صح جمع ساق كما قالت الأبلة إيمان، أنا أحب الأبلة إيمان كثيرا خاصة عندما تحملنى بين ذراعيها، رائحتها حلوة، لا كرائحة أمي، وليست حلوة كرائحة الصابونة، أحلى، وليست كرائحة المدينة المنورة التى يضعها أبى حين يشد البردعة على الحمار ويأخذنى أمامه أحيانا.

عاد بعض الأولاد مندفعين متصايحين وحملونى فيما بينهم من ذراعى وساقيّ، خامس حمل حقيبتي، فى هذا الوضع بان سقف الفصل أمام عينيّ، ثم سقف الطرقة ثم السماء، أرى جذوع زملائى تتمايل حولى كعيدان الذرة، أرى وجوههم تصحبنى عبر السحب والنور المبهر، أعجبنى ذلك ولم أكن أريد لهذا الوضع أن ينتهي، وسمعت أحدهم يقول ضاحكا: أحمد المحمول بتاع الفصل، أعجبنى ذلك جدا.

كانت الأبلة إيمان تصر على أن أقرأ عندما يحين دورى فى حصة القراءة، ولقد كنت أحاول جهدى أن أقرأ من أجلها فتخرج الكلمات من فمى حروفا متناثرة، كما أن رقبتي تلتوى غصبا عنى فتأخذ عينى بعيدا عن الكتاب، لكنها ذات مرة جلست بجوارى وطلبت منى أن أقرأ قراءة صامتة، قالت: يعنى تقفل بقك، وتقرا بعنيك، أنا مش عايزة أسمعك، عقلك هو اللى هيسمعك. لهذا أيضا أنا أحب الأبلة إيمان.

كنت أقرأ، حين سمعت أحدهم يصرخ فى التليفزيون، نظرت فرأيت رجلا بلحية هائلة يخبط يديه على المكتب أمامه صارخا: المرأة محمولة، المرأة محمولة، على أبيها ثم على زوجها ثم ابنها، أعجبنى ذلك، أتمنى أن أقابل هذه المرأة المحمولة مثلما أننى أحمد المحمول، بل الأحلى أتمنى لو كانت الأبلة إيمان هى المحمولة.

الكاتب

*** شريف سمير**

- الإسماعيلية، مصر.
- صدرت له مجموعة قصصية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بعنوان "فقط آدم آخر"
- أول قاص عربي يحصل على جائزة متحف الكلمة العالمية للقصة القصيرة من إسبانيا ٢٠١٢م.
- عضو لجنة التحكيم لنفس الجائزة ٢٠١٣م.

المحتوى

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً فى سلسلة
كتابة

11- أنا اليوم وحيدة .... إيمان السباعي

12- سيرة الورد .... سالم الشهبانى

13- المملوك .... عمرو الشيخ

14- موسم الكَبَك .... أحمد إبراهيم الشريف

15- وجع الأغانى .... سهى زكى

16- بنت من ورق .... نهى محمود

17- أخبار الأيام الأخيرة .... ياسر المحمدى

18- جُوَايَا سِرّ .... محمد عبد المنعم الحناطى

19- الجميلة وفارس الرياح .... فكرى عمر

20- كان عمرى ستاشر ربيع .... محمد فهمى

21- التَّحَررُ مِنْ نَوْبَاتِ الغِيَاب .... سامح سكرمة

22- دمٌ لإضاءة الطابق الثانى .... أحمد عادل

23- النبوءة .... أسامة لبيب

على دراجة



24

كتابة

شريف سمير

تتميز المجموعة باستخدام عدد كبير مـن تقنيات السـرد بمهارة و إتقان، كـما يحتفى الكـاتب بالأحداث الصغيرة جداً التى غالباً مـا تدور فى زمن قصير للغاية، وهو ما أضفى على المجموعة نوعاً من الحيوية خاصة فـى إطار لغة مكثفة، كما نجح الكاتب فى صناعة الدهشة خـاصة مع وجود نظرة غير تقليدية للـذات الساردة، وهـى تشتبك مع الواقع على نحو يتداخل فيه الحلم مع الواقعى، والغرائبى مع المعتاد.

(فتحى عبد السميع)

الغلاف للفنان أحمد الجنايني
اللوحة للفنانة Yevgenia Nayberg



الهيئة العامة لقصور الثقافة
www.gocp.gov.eg

الثمن جنيهان